مقياس النيل فى جزيرة الروضة

السيد كامل عثمان غالب

من منشورات المجمع العلمى المصرى

١٨٢ صفحة من الحجم الكبير — ٤٦ صورة فوتوغرافية وغيرها من الرسوم

Le Mikyas ou Nilomètre de l'Ile de Roda
Kamel Osman Ghaleb. Le Caire 1951.

أول عمل أقدم على نشره المجمع العلمى المصرى منذ عام ١٩٤٨ . وهو المؤلف الرابع والخمسين من منشورات المجمع . وهو لعالم ومهندس مصرى معروف اشتغل بالآثار طوال حياته العلمية . وهو فى طليعة الخبراء فى العمارة الإسلامية فى مصر . وقد يسرت له خدمة حوالى أربعين عاماً فى وزارة الأشغال العمومية بالأعمال الخاصة بالرى أن يؤلف كتابه النفيس عن مقياس النيل ليتوج به حياته العلمية النافعة .

* * *

مقياس النيل بالروضة أثر إسلامى شيده محمد بن كثير الفرغانى المهندس القدير فى عام ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) فى أخريات عهد الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسى . وقد عرف المقياس بعدة أسماء وردت فى كتب الخطط الإسلامية أهمها :

المقياس الهاشمى — المقياس الجديد — والمقياس الكبير .

واشتمل الكتاب على عدة فصول ومقدمة طيبة — أوجز فيها المؤلف أهم مراجع الكتاب .

وقد تناول فى الفصول الأولى أهمية اختيار الموقع الذى شيدت عليه المقاييس الأولى . وأولها مقياس أسامة بن زيد التنوخى عامل خراج مصر . ثم انتقل إلى الكلام عن تاريخ المقياس الكائن إلى هذا اليوم فى أنف جزيرة الروضة .

وحقق اسم منشئه الفرغانى وأعمال الإصلاحات المتتالية التى أجريت فيه على مر الأيام منذ أيام أحمد بن طولون حتى أيام الحملة الفرنسية . ثم تابع الكتابة إلى الإصلاحات التى نهض بها محمد على والحكومات المصرية المتتالية إلى عام ١٩٣٨ .

والمعروف أن الفرنسيين فى أثناء احتلالهم القصير مصر — كانوا كشفوا عن عمود المقياس ورفع ما تراكم بقاع بئره من الطمى وكشفوا معظم العمود ووضعوا له تاجاً تعلوه قطعة أخرى من رخام ارتفاعها ذراع واحدة (١٨٠٠ م) .

ووصف المؤلف فى أحد فصول الكتاب — النقوش الزخرفية التى فى داخل بئر المقياس والتى فى خارجه ووصف عمود المقياس وما طرأ عليه من هبوط اهتمت له وزارة الأشغال عام ١٨٩١ . وتلاه هبوط آخر فى عام ١٩٢٥ فقامت مصلحة المبانى بمعاونة تفتيش رى الجيزة وإدارة حفظ الآثار العربية لإيقاف الهبوط وعمل إصلاح شامل .

ووصف المؤلف آبار المقياس وأحواضه السفلى والوسطى والعليا ودرج المقياس وجدرانه وكذلك عدد قطع الحجارة التى اشتملت على نقوش هيلوغر يفية . كما وصف قبة المقياس وتطورها منذ شيدت إلى أن أعاد تشييدها فى زمن الحملة الفرنسية .

ومن أهم ما تناوله المؤلف مجرى النيل فى خلال الأزمنة التى مرت بالمقياس ولم ينس كذلك أن يتحف القارىء ببعض الطرف عن جزيرة الروضة ونشأتها التى زالت اليوم عنها .

وللكتاب عدة ملاحق تاريخية لأهم ما ورد عن القياس فيما كتبه المؤرخون منذ عام ١٤٧٥ إلى عام ١٨٧٨ إلى جانب شتى المعلومات التى يفيد منها المهندس والأثرى والمؤرخ .

والصور والرسوم الهندسية تبين ذلك العناء الذى بذله المؤلف الفاضل لكى يخرج الكتاب مرجعاً فريداً يخلد ذكره .

* * *

وهناك بعض أخطاء مطبعية لكنها ليست بالكثرة التى تضايق القارئ .

واستطاع المؤلف أن يتلافى ضررها . فطبعها على حدة وأرفقها بالكتاب .

ومن الصدف أنه فى الوقت الذى نشر فيه كتاب السيد الجليل . فى مصر . نشر فى الولايات المتحدة الأميركية كتاب عن مقياس القاهرة للمستشرق الأميركى ويليام بوبر . . .

وينبغى علينا أن نذكر أن السيد كامل عثمان غالب ساهم عملياً فى إصلاح المقياس للمرة الأخيرة عندما كان مفتشاً عاماً لرى قبلى وبحرى . وإليه يعود الفضل إلى الحالة التى نشاهد عليها المقياس . . . اليوم .

عبد الرحمن زكى